اثر العوامل البيئية في صنع القيادات المغولية

م. إسراء مهدي مزبان ، جامعة واسط ، كلية التربية ، قسم التاريخ

المقدمة

للمغول تاريخ حافل بالأحداث ومن بين اهم احداث تأريخهم ما رسمته البيئة لهم من حياة إذ يتناول هذا البحث موضوع ((العوامل البيئية في صنع القيادة المغولية فقد شكلت البيئة المغولية عنصراً اساسياً من عناصر هذه الأمة وخاصة بعد أن صهرتهم من افراد قبلية الى امة منظمة سياسياً وعسكرياً واجتماعياً.

واقتضت المادة البحثية ان يقسم بحثنا الى ثلاث مباحث هي المبحث الأول اثر البيئة في الحياة السياسية والاجتماعية للمغول. اما المبحث الثاني شمل اثر البيئة في الحياة العسكرية للمغول في حين احتوى المبحث الثالث على اثر البيئة في الحياة الدينية للمغول.

وقد اعتمدنا في بحثنا على جملة من المصادر والمراجع ولعل من اهم المصادر كتاب (البداية والنهاية) لمؤلفه ابن كثير (ت774) أذ قدم معلومات تاريخية مهمة استقاها من رجالاً كتبوا التاريخ المغولي وكانوا من المغول امثال الجويني فقد جعل ابن كثير الجويني مصدراً لمعلوماته عند حديثه عن المغول. فضلاً عن كتاب الكامل في التاريخ لمؤلفه ابن الايثر (ت630) والذي قدم هو الآخر معلومات عن المغول افادتنا في توثيق الكثير من الاحداث وخاصة فيما يتعلق بالحياة الدينية عند المغول في ظل قانون الياسا.

والى جانب تلك المصادر كانت هنالك جملة من المراجع التي ذكرناها في قائمة المصادر والمراجع والتي افادتنا في بحثنا حول المغول واثر البيئة في صنع قيادتهم ولعل من اهم تلك المراجع تاريخ المغول لمؤلفه عبد المعطي الصياد والمغول لمؤلفه السيد الباز العريني وغيرها من المراجع التي ذكرناها في قائمة المصادر والمراجع.

وجاءت الخاتمة لتقدم اهم الاستنتاجات التي توصلنا اليها في نهاية هذا البحث.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

وأفضل الصلاة واتم التسليم على خاتمة النبيين والمرسلين ابا القاسم محمد وعلى اله وصحبه اجمعين، الاساتذة الأفاضل الحضور الكرام:-

السلام عليكم ورحمة الله، يتناول موضوع بحثنا.

المقدمة

المبحث الأول

اثر البيئة في الحياة السياسية والاجتماعية للمغول

المبحث الثاني

اثر البيئة في الحياة العسكرية للمغول

المبحث الثالث

اثر البيئة في الحياة الدينية للمغول

الخاتمة

قائمة المصادر والمراجع

المبحث الأول: اثر البيئة في الحياة السياسية والاجتماعية للمغول

عاشت القبائل المغولية في المنطقة الواقعة في وسط أسيا بين نهري سيحون وجيحون من الغرب حتى حدود الصين الجبلية من جهة الشرق ممتدة حتى أقصى الشمال الشرقي لأسيا([1]).

وتوسع البعض في حدودها حتى امتد بها الى البحر الادرياتيكي وبذلك تعتبر هضبة منغوليا وسلاسل جبال (تيان شان) وجبال التاني وما بينهما من سهول وصحراء جوبي وحول بحيرة (بايكال) وضفاف الأنهار الموجودة في تلك المنطقة الموطن الرئيسي للقبائل المغولية([2]).

وكانت تلك القبائل تستقر في السهول الواقعة بين سلاسل الجبال ومناطقها الدافئة شتاء حيث تتوفر المراعي لحيواناتهم وفي الصيف يستقرون في المرتفعات واعالي الجبال لمدة شهرين او ثلاثة حيث تكون المنطقة باردة وتتوفر فيها المياه والمراعي([3]).

ان بعد هذه المناطق عن البحار فضلاً عن ارتفاعها اسهم في أن يخصها بمناخ (قاري) فقد تراوحت درجة الحرارة في معظم اجزائها ما بين 38 فوق الصفر و42 تحت الصفر مما يؤدي الى تجمد انهارها وبحيراتها فترة طويلة من أشهر السنة بالأضافة الى الرياح الشديدة التي تهب من المنطقة الجليدية في سيبريا الواقعة شمالاً([4]).

اما في فصل الصيف ترتفع الحرارة وتهب الرياح الشديدة المحملة بالرمال وفي تلك البيئة القاسية كانت هذه القبائل التي تعيش على الصيد والرعي تجري وراء المياه القلية في صحراء (جوبي) والتي كانت تعاني الجدب والفقر. وفي السهول بين الجبال وتعتلي المرتفعات وراء العشب والمرعى([5]).

---

[1]() العريني، المغول، ص5-8.
([2]) الخالدي، العالم الاسلامي والغزو المغولي، ص19.
([3]) العريني، المغول، ص8-9.
([4]) المرجع نفسه، ص9-10.
([5]) الخالدي، العالم الاسلامي والغزو المغولي، ص20.

وكلما زحف الجفاف او قلت الاعشاب انتقلوا الى ارض مجاوره يدفعهم الى ذلك تزايد عدد القطعان والماشية([1]) وبالتالي فأن هذا الارتحال والتنقل هو القاعدة الطبيعية لحياتهم.

وفي الكثير من الاوقات تتعرض تلك القبائل الى احتباس الأمطار وتصيب المراعي الأفات وقلت الاعشاب وتبعاً لذلك وجد الراعي نفسه امام خطر فقدان ماشيته والتي هي مصدر رزقه ثم التعرض للمجاعه مما يدفعهم الى السرقة والنهب والسلب ممن يجاورنه من السكان الذين يشتغلون في الزراعة حتى تنشب الحروب والغارات والأخذ بالثأر([2]).

عرفت امبراطورية المغول كأكبر إمبراطورية في تاريخ اوراسيا وتأتي أضخم إمبراطورية في التاريخ من حيث المساحة بعد الإمبراطورية البريطانية([3]).

وجاءت تلك الامبراطورية نتاج توحيد القبائل المغولية والترك في ما يسمى منغوليا([4]). وبدأ نجم المغول يسطع تحت حكم جينكيز خان الذي نجح في انشاء اعظم امبراطورية شهدها تاريخ المغول فقد شهدت منغوليا مولد (تيموجين يسوكاي بهادر) في سنة (549هـ-1155م) وكان ابوه رئيساً لقبيلة منغولية تدعى ((قيان)) وعرف بالشدة والبأس فكانت تخشاه القبائل الاخرى وقد سمى ابنه تيموجين بهذا الأسم تيمناً بمولده في يوم انتصاره على احدى القبائل التي كان يتنازع معها وتمكنه من القضاء على زعيمهم الذي كان يحمل هذا الأسم([5]). وبدأت مسيرة الطبيعة واثرها على جينكيز خان بعد وفاة ابيه والتي صقلته بكل مصاعبها لتجعل منه قائداً ذو حدين رجل للسيف واالتشريع بعد ان اثرت البيئة تاثيراً واضحاً في توجهاته وافكار جينكيزخان فقد بدءت تلك الأثار واضحة بعد ان تحمل تيموجين في سنه (561- 1196) حملاً ثقيلاً ومسئولية جسيمة للابن الاكبر الذي كان صبياً لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره وما كان ليقوى على حمل تبعات قبيلة كبيرة مثل قيات فانفض عنه حلفاء ابيه وانحرف عنه الانصار والاتباع فأستغلت قبيلته صغر سنه فرفضت الدخول في طاعته على الرغم من كونه الوريث الشرعي لرئاسة قبيلته والتفت حول زعيم اخر وبذلك

[1]( ) المرجع نفسه، ص 20.
([2]) الصياد، المغول في التاريخ، ص23.
([3]) نور الدين، محمد، امبراطورية المغول، ص23.
([4]) المرجع نفسه.
([5]) ثروت، عكاشه، اعصار من الشرق،35.

فقدت اسرته الجاه والسلطان([1]) وبعد فقدان جينكيز خان مكانته السياسيه التي كان عليها اصبح امام مشاق ومصاعب كبيره فقد هامت اسرته في الأرض تعيش حياة قاسية وذاقت خلالها مرارة الجوع والفقر والحرمان. وعليه اخذ تيموجين على عاتقه مصارعة الطبيعة القاسية في محاولات متكرره فاشله تارة وناجحة تارة اخرى لتوفير المكان المناسب للعيش لعائلته فضلاً عن توفير الطعام والماء لهم في ظل طبيعة عرف عنها بشتاء قارساً وصيفاً جاف حار لذلك فقد صارع جينكيز خان تلك الطبيعة فحولته لصياداً ماهر قادراً على توفير قوته وحماية نفسه من غضب الطبيعة وقسوتها. فقد تمكن بشجاعته على الرغم من صغر سنه من المحافظة على مراعي اسرته وفي الوقت نفسه نجحت امه في اشد ازره في ظل تلك المحن التي عاشوها وكانت تحث جنكيز خان على الصبر والكفاح والعزم والاصرار حتى صار شاباً قوياً فقد ظهرت عليه عليه بعد ان امتحنته الطبيعة التي عاش في كنفها امارات القيادة والنزوع الى الرئاسه– ومنحته الطبيعة بحكم قسوتها بنية قوية جعلته المصارع الاول بين اقرانه واكثرهم بأساً وشجاعة([2]).

وسرعان ما نجح تيموجين من تولي القيادة والزعامة وبدأ يتوافد عليه بعض القبائل كما تمكن من اجبار المنشقين من الاتباع والأقارب على العودة الى قبيلتهم ودخل في صراع مع الرافضين للانضواء تحت قيادته حسمة لصالحه في اخر الأمر حتى نجح في ان تدين قبيلته كلها بالولاء له وهو دون العشرين من عمره([3]) وواصل تيموجين خطتة في التوسع على حساب جيرانه فبسط سيطرته على منطقة شاسعة من اقليم منغوليا حتى صحراء جوبي حيث مضارب عدد كبير من قبائل التتار ثم دخل في صراع مع حليفه رئيس قبيلة الكراييت وكانت العلاقات قد ساءت بينهما بسبب الدسائس والوشايات وتوجس (اونك خان) زعيم الكريت من تنامي قوة تيموجين وازدياد نفوذه فانقلب حلفاء الأمس الى اعداء وخصوم واحتكما الى السيف وكان الظفر في صالح تيموجين سنة (600هـ/ 1203م) فاستولى على عاصمته (قره

([1]) عبد العزيز، تاريخ الدولة المغولية، ص129.
([2]) عمران، المغول واوربا، ص39.
([3]) عبد العزيز، تاريخ الدولة المغولية، ص31.

قورم) وجعلها قاعدة لملكه وبذلك اصبح تيموجين بعد انتصاره اقوى شخصية مغولية فنودي به قائداً وعرف بأسم (جينكز خان) أي امبراطور العالم([1]).

ولا بد من القول ان امارات القيادة والزعامة التي امتلكها تيموجين جاءت تحت مؤثرات الصرامة التي منحتها اياه الطبيعة التي عاش تحت قسوتها وبذلك صقلت البيئة شخصيته ورغم القسوة والصرامة التي امدته بها الطبيعة غير انها حولته لشخصية قيادية قادرة على مواجهة مصاعب الزعامة والسلطة.

لقد أثرت البيئة التي عاشت فيها تلك القبائل تأثيراً كبيراً على حياتهم الاجتماعية والاقتصادية فمناخها القاري والسعي وراء الاعشاب لرعي الماشية والاغنام فرضت عليهم مع مرور الزمن نمطاً معيناً من الحياة([2]).

فقد عاش الترك المغول الذين أقاموا في منطقة الغابات حول بحيرة (بايكال) ونهر كامور عيشة المتبربرين يعيشون على صيد الحيوانات في الغابات وعلى صيد السمك في الأنهار والبحيرات اما الذين كانوا يعيشون في الأستبس فقد عاشوا على تربية الخيل والماشية والاغنام يلتمسون العشب لرعي اغنامهم([3]). وعليه فقد حددت البيئة طرقهم واساليبهم في العيش والبقاء.

ولقد انعكست البيئة انعكاساً واضحاً على مجمل الحياة الاجتماعية للمغول فمع ما عرفت فيها بيئة المغول من قيظ لافح وبرد قارس جاءت معيشتهم الاجتماعية انعكاساً لواقعهم البيئي الجغرافي فباتت اثار البيئة تطغي حتى على تقاسيم وجوه تلك القبائل المغولية([4]). فقد امتاز المغول تحت وطأة اثر البيئة المتقلبة بصفرة الوجه والانف الأفطس والشعر المنبسط غير المجعد بسواده الحالك وبريقه وتألقه كما تميزوا بالعيون المنحرفة التي تشوب سوادها زرقة تغلب الصفرة على بشرتها غير أن منهم من يبدوا أسمر او برونزياً او نحاسياً([5]).

---

[1]() الخالدي، العالم الاسلامي والغزو المغولي، ص31- 34.
([2]) هارولد، جنكيز خان وجحافل المغول، ص124.
([3]) عمران، المغول واوربا، ص43.
[4]() ثروت، اعصار من الشرق، ص34.
([5]) الخالدي، العالم الاسلامي، ص45.

وفي ظل هذه البيئة المتلونة بدا المغول حياتهم وواصلوا تاريخهم الحافل فكانوا بداية ما ينتقلون فيها بماشيتهم وخيلهم باحثين عن المرعى واقعين على مواقع الحياة ولذلك كان على المغول اذا ماما توفرت لهم المراعي الخصبة اوجب عليهم حمايتها لحماية ماشيتهم حتى يستطيعوا البقاء ومواصلة العيش. فقد هيأت لهم الطبيعة هذه الحياة القاسية من صيد وقتل وسلب ينهبون ويغيرون ويقتل بعضهم بعضاً للأستئثار بالحياة وهم على ذلك كانو اشد حمية والهب غيرة واعتق قسوة([1]).

واتخذ المغول الطبيعة هادياً ومعلماً يستلهمون منها ويسترشدون بها ففي الشتاء حين يكسو الجليد الأرض ويغطى المراعي المعشية لا تجد الماشية ما تعيش عليه فيذوب شحمها ويضمر لحمها ويعرض لها الموت ويحصد منها الكثير. عندها يكنف القوم عن ذبحها حتى لا يكونوا عوناً للطبيعة على افنائها صابرين على ما يعرضون له أنفسهم من جوع قاتل وحرمان مميت قانعين بما قد ادخروا من أذرة يجدون في طبخها ما يسد رمقهم ويدفع الجوع عن صبيانهم([2]).

وعاش المغول اوضاع اجتماعية صعبة مع ثورات الطبيعة وقسوتها حتى مرت على القوم فترات من الجوع التي اصابت صغارهم الامر الذي اجبرهم على النهوض للغارة فيقتلون ويقتلون ويسلبون وينهبون ولشدة الجوع وقسوة الشتاء الذي ينعدم معه توفر الطعام وقلته يلجأ المغول الى اكل الجرذان فأن لم يجدوا اكلو الكلاب والذئاب([3]). مما يوفر لهم القدرة على البقاء والاستمرار في العيش مع قانون الطبيعة الذي لم يرحم كبار المغول وصغارهم ومع تغير الطبيعي تتغير احوال المغول الاجتماعية فعندما يرحل الشتاء يحل الربيع على بادتهم فتظهر الشمس في الأفق. فيذوب الثلج وتخضر الأرض. فتجد الماشية ما تطعم بها نفسها وتعود الحياة الى الناس كما عادت الى الارض([4]) ومع حلول الربيع يسارع المغول للخروج للصيد. بحثاً عن الدببة والوعول والأيل ويجمعون ما وقع تحت يدهم من لحوم تلك الحيوانات بعد ان سئموا اكل لحوم الثعالب والكلاب على طوال الشتاء([5]). وعليه

([1]) العريني، المغول، ص29.
([2]) الخالدي، العالم الاسلامي والغزو المغولي، ص48.
([3]) المرجع نفسه، ص48- 49.
([4]) الحسن، امبراطورية المغول، ص25.
([5]) المقريزي، المواعظ، ج2،ص133.

فأن البيئة حددت للمغول مأكلهم ومشربهم في ظل تقلبات الطبيعة التي جعلت لهم مواسماً للأكل وفقاً لكل فصل من فصول الطبيعة.

ولم تقف البيئة بتغيراتها عند حدود طعام المغول وشرابهم بل امتدت لتشمل مساكنهم التي بنيت بما يلائم بيئتهم. فقد كان المغول يقيمون في بيوت من اللباد السميك ويجعلونه قباباً تستوى على جدر من القصب يشد بعضه الى بعض بشرائح من لحاء الأشجار قد جدلت جدلاً محكماً وفي الوسط من القبة يهيئون مكان لنارهم التي تظل موقد دائماً ويجعلون تلقاءها في سماء القبه منفذاً ينفذ منه الدخان ويجدد لهم الهواء([1]) وكانت هذه القباب مع ضخامتها بالأمكان حملها فعند يهم القوم بالرحيل يتم رفعها عن طريق (البرت) وهي عربه مستطيلة فيثبت عليها البيت تثبيتاً قوياً. تعجز الرياح عن اسقاطها لشدة ثباتها وقوتها([2]).

وبالتالي يصبح البرت وكأنه بيت متحرك تجره الثيران القوية ويحملون القوم عند رحيلهم امتعتهم من اواني واسلحة وفضيات وما ملكوة من ثروات ذهبية في صناديق داخل تلك العربات المستطيلة فضلاً عن ماشيتهم وخيولهم التي يحملها القوم مع جيادهم عند رحيلهم من مكان لأخر بحثاً عن المراعي الخضراء التي يعيشون تحت وطأتها([3]).

وهكذا اسعفت الطبيعة هؤلاء الناس بالكثير من زاد مادي وزاد روحي وعقلي واذ اهم اخر الامر شعب يتميز بقوة الجسم وقوة الروح وقوة العقل واذا هو مدفوع الى ان يرضى هذه القوى جميعاً فكانت له الفتوح التي حققها والنصر الذي ناله وبالتالي الخروج من تلك الطبيعة المحدودة الى بيئات اخرى فانتشر شرقاً وغرباً يطوى الأرض ويطوى الشعوب طياً([4]).

المبحث الثاني:- اثر البيئة في الحياة العسكرية للمغول

[1]() عبد العزيز، تاريخ الدولة المغولية، ص53.
([2]) الحسن، إمبراطورية المغول، ص42.
([3]) المرجع نفسه، ص42- 43.
([4]) حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص63.

تركت البيئة اثاراً واضحة في العقلية العسكرية للمغول بكل ما حملته تلك البيئة من قسوة والتي حولت المغول الى قوة عسكرية ضاربة بفعل المعوقات والمصاعب التي عاشها المغول لبيئتهم الصعبة مما جعلهم فرسان وبالتالي اصبح للمغول ارثاً كبيراً من التنظيمات العسكرية التي صقلها ونظمها بشكلها القيادي القائد العسكري جنكيز خان فقد نظم جنكيز خان جنوده الى عدة مجموعات حسب التظاهر العشري حيث اتاح له هذا التقسيم تنظيم جنوده في وحدات صغيرة تبدأ من 10 جنود ثم تبدأ تلك الوحدات بالتضاعف العشري لتصل الى 100 جندي([1]).

وقد اعطى جنكيز خان قادته في جميع المستويات الحرية في تنفيذ اوامره بالطريقة التي يرونها مناسبة لتحقيق ذلك وقد اثبت تسلسل تنظيم القيادة الذي اتبعه جنكيز خان انه مرن للغاية ويسمح للجيش المغولي بالهجوم ككتله واحدة مع امكانية تقسيمها لوحدات صغيرة حسب نظام العشرة لتطويق وايقاع العدو في كمين او مطاردة فلولة([2]).فضلاً عن ذلك فقد كان يعهد بكل وظيفة الى شخص او الى عدة اشخاص اذ كان هنالك اربعة اشخاص يعملون على حمل السهام والأقواس واطلق على الشخص الذي يقوم بهذه المهمة قورجى وثلاثة اشخاص يقومون بالاشراف على الطعام واشراب ويسمى القائم بهذه الوظيفة (باورجى) وكان يوجد شخص واحد يقوم بتهيئة المراعي للأغنام وشخص واحد لإعداد العجلات الحربية ووسائل الحمل والثقل([3]) وهذا يدل على ان لكل شخص وظيفة معينة وفقاً لقدراتهم التي منحتهم اياه الطبيعة بكل اثارها وقسوتها الجسمانية عليهم.

وفي ظل القانون العسكري الذي وضعه ونظمه جنكيز خان فقد اختار جماعة من حرسه كان يطلق على كل واحد منهم اسم (كشيكجي) أي النوبة منهم ثمانون شخص لنوبة الليل وسبعون لنوبة النهار وكان لإنشاء نظام الحرس الخاص اهمية كبيرة في النجاح الحربي الذي احرزه المغول وعدد هؤلاء الحراس كانو يبلغون عشرة الأف رجل ممن عرفوا بالحذر

([1]) عبد العزيز، تاريخ الدولة المغولية، ص30- 31.
([2]) المرجع نفسه، ص31- 32.
([3]) العريني، المغول، ص357.

واليقظة وشدة البأس وقد وكل اليهم النظر في أدق التفاصيل الخاصة بمعسكر الخان وكان جنود هذا الحرس يؤلفون في الإمبراطورية المغولية طبقة ارستقراطية مميزة لأن الجندي في هذه الكتيبة([1]) ويكون اعلى مرتبة من قائد الألف رجل في الفرق الأخرى وقد اختيرت فرقة خاصة من هؤلاء الحرس مكونة من الف رجل هم نخبة المحاربين ويطلق على كل منهم اسم (بُبُاَدر) أي مبارز وشجاع([2]) ويلاحظ ان هذا الفريق العسكري يقوم على خدمة الخان مباشرة ولا يخرج الى الحرب إلا اذ كان الخان نفسه مع جيشه في ميدان القتال. وكان النظام مرعباً بينهم الى اقسى حد فأذا تأخر احدهم عن الحضور في نوبته فأنه يجلد ثلاث جلدات اول الأمر. فأذا عاد الى هذا التقصير مرة ثانية فأنه يجلد سبعين جلدة. وكانت هذه العقوبة تقع على الرئيس الذي يغفل مراقبة مروسيه ولم يكن في استطاعة أي ضابط تنفيذ الحكم بالاعدام على من هم ادنى مرتبة منه الا بعد ان يؤيد الخان هذا الحكم([3]). وعليه فأن صرامت نظام المغول العسكري يعطي انطباعاً واضحاً على مدى القسوة التي حملتها البيئة بكل عنفوانها على حياة المغول انفسهم وبالتالي انعكست قسوة الطبيعة وشدتها على الشدة والصرامة والحزم والبأس في تشريع وتنظيم حياتهم العسكرية الصارمة.

لقد اولى جنكيز خان اهتماماً بالغاً في الجيش من حيث القوة والمقدرة العسكرية فاصبح لديه جيش ضخم حرص على تنظيمه تنظيماً دقيقاً وكان كل افراد القبيلة الذين يتراوح عمرهم بين الرابعة عشرة والستين يلتزمون بالخدمة العسكرية وفقاً للعرف المغولي([4]). وبالتالي نجح جنكيز خان من اخراج القبائل المغولية من نظامهم القبيلي المليء بالفوضى وعدم الانضباط ليكون لهم نظاماً عسكرياً صارماً ومنظماً شكله جنكيز خان وفق لقواعد وقوانين طبيعية ودينية لأنشاء اقوى قوة عسكرية عرفها العالم انذاك.

وكان كل مغولي مجنداً في خدمة دولته ومستعداً لحمل السلاح وخوض غمار القتال إذا ما أشار عليه جنكيز خان. وقد اخذ المغول من بيئتهم حتى حمتها واعصارها لذلك تعلم قادة المغول والجنود كيف يمسكون السنتهم عن الكلام ويسترشدون في النهار بإشارات

([1])العريني، المغول، ص359.
([2]) نور الدين، امبراطورية المغول، ص53.
([3]) المرجع نفسه، ص54.
([4]) الخالدي، العالم الاسلامي والغزو المغولي، ص33.

البيارق المستطيلة المرفوعة على الرماح وفي الليل بعلامات المصابيح الملونة حتى ينقضوا جميعاً على العدو كالإعصار([1]) وعلى الرغم من ترويض الطبيعة لعقول المغول واجسامهم غير ان الترقية العسكرية لم تبنى على الاعتبارات الجسدية او العقلية بل على اساس المقدرة والكفاءة دون النظر الى أي اعتبار أخر([2]).

وكان اكثر جنود جنكيز خان من الفقراء والمحتاجين حتى يكونوا اكثر طاعة وقدرة على الكفاح واحرص على النصر من المنظور المغولي وذكر في هذا الباب قولاً للمغول (ان السباع لا تصاد ولا تقصد أي حيوان الا اذا أحسنت بالجوع))([3]).

وعندما كانت الجيوش تتحرك كان جنكيز خان يصدر اوامره الى الجنود يحمل ما يحتاجون اليه من اسلحة وغذاء حتى الابر والخيوط. فكانوا يحضرونها لاستعمالها عند الحاجة ولا تخلو جعبة الجندي المغولي من عدد كبير من اوتار القسى ومعها ابرة وشمع لأصلاحها ومبرد لسن اطراف النبال ويضع المغول اسلحتهم واقنعتهم في جعبات من الجلد يمكن نفخها ليستعينوا بها على اجتياز الأنهار وان نسى احد الجند أخذ شيئاً من هذه الاشياء فانه لا ينجو من عقاب مرؤسيه([4]).

وفي ظل هذا النظام العسكري الصارمفقد كان المغول يتدربون طوال الشتاء القاسي على الصيد دون توقف مما الهمتهم الطبيعة القدرة على العيش تحت اجواء صعبة وقاسية فاستطاع المغول التكيف معها وبالتالي اصبحت لهم القدرة على الدخول لكل المدن والمناطق لا سيما وان بيئتهم علمتهم العيش كل الفصول بل واصعب الفصول واقساها قد ذللت لهم طبيعتهم الصعاب في اختراق اصعب الأسوار وامنعها في حروبهم التي غزو فيها العالم بأسره.

وتعلم المغول الانضباط في القيادة العسكرية مع وجود مساحة من الحرية المتبعة في تنفيذ الاوامر بالطريقة التي يرون انها تتلائم مع امكانياتهم حيث تفادو الانضباط الصارم جداً الذي قد يضر بجنودهم ويؤدي بالتالي الى حالات من التذمر والعصيان. واتبعوا طريقة

---

[1]() ثروت، اعصار من الشرق، ص41.
([2]) هارولد، جحافل المغول، 63.
[3]() الحسن، امبراطورية المغول، ص42.
([4]) العريني، المغول، ص362.

في ضمان ولاء كل جندي للخان حيث كانوا يطبقون عقوبة الموت على كل افراد المجموعة التي يقوم احدها بالهرب او الخيانة وبالتالي جعلوا من كل فرد بكل مجموعة اداة ووسيلة لتقييم وتقويم أي انحراف بمجاميعهم([1]).

وبالتالي الى دولة تمتلك قانون ودستور لأدارة الحياة بكل جوانبها السياسية والعسكرية والدينية. وبالتالي اظهرت لنا البيئة قوة جديدة على الساحة تسنى لها أن تحكم بأسره

المبحث الثالث:- اثر البيئة في الحياة الدينية للمغول

لقد كانت معظم قبائل المغول تؤمن بالمفاهيم القديمة حول تكوين العالم وقد ارتكزت مبادىء ديانتهم على الشامانية وهي ديانة بدائية كانت تعتقد بأن العالم مؤلف من طبقات متعاقبة وكانوا يعتبرون أن السماء هي مملكة النور الذي هو الإله الصالح وقعر الارواح المؤمنة وهذه السماء تقسم وفقاً لمفهومهم الى سبعة عشر طبقة عليا اما العالم السفلي فهو على الارض التي يعيشون عليها وهي بمنظورهم الديني مكان الظلمات حيث الأشرار ومسكن الشياطين وعملها([2]) كما وامنت تلك القبائل المغولية بعادات غريبة كالتأمل في رأس خروف لمعرفة الحظ وكان للشامانية كهنة اطلق عليهم أسم (الشامانيين) كانو يحملون طبلاً شد عليه جلد ثور أسود وكان نفوذهم واسعاً حتى أن جنكيز خان عمد الى إقصائهم او قتل البعض منهم للتخلص من نفوذهم غير ان دورهم اقتصر فيما بعد على التنبوء قبل أي معركة بخوضها المغول([3]). وذكر ابن الأثير ديانة المغول بقوله ((انهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيئاً فإنهم يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير ولا يغرفون نكاحاً بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال فإذا جاء الولد لا يعرف اباه))([4]).ومن خلال ما اورده ابن الاثير من عبادتهم للشمس وليلاً واضحاً على مقدار ما تركته البيئة من اثراً واضح المعالم على فكر المغول وديانتهم. وقد عرف المغول ديانات اخرى وتأثروا بها وخصوصاً

---

[1]() العريني، المغول، ص362- 363.
[2]() الهمداني، جامع التواريخ، ص115، ابو شافه، الروضتين، ج،ص، النجوم الزاهرة/ ج،ص.
([3]) ابو الفدا، المختصر، ج1، ص233.
([4]) ابن الاثير، الكامل، ج10، ص410.

السماوية منها فقد تحول بعضهم نحو الديانة اليهودية والمسيحية وحتى الاسلام وقد ساهم تسامحهم الديني في الحفاظ على اثر هذه الديانات السماوية ووجودها وقد كانت (الياسا)([1]) التي شرعها جنكيز خان هي الغطاء الشرعي لكل عمل يقومون به مهما كان على الا يخرج من قانون الياسة([2]).

وذكر القلقشندي بقوله (ان الظاهر من عموم مذهبهم الادانة بوحدانية الله تعالى وانه خلق السموات والأرض وانه يحيي ويميت ويغني ويفقر يعطي ويمنع وانه على كل شيء قدير وان منهم من دان باليهودية والمسيحية ومنهم ترك كل شيء وبعضهم تقرب عبر الاصنام كما ان بعضهم اعتنق النسطورية او البوذية أو الأسلام([3]).

وعرف بلاط المغول ديانة اخرى الا وهي ديانة عرفت بأسم الطاوية وكان اتباع هذه الديانة كثر وكان للآباطرة الذين ادنوا بهذه الديانة نفوذاً واضحاً وبلاط جنكيز خان امثال البطريرك تشايخشون فقد كان اعظم بطاركة الطاوية من حيث دوره الفعال في بلاط جنكيز خان اذ تأثر جنكيز خان ببعض مبادىء هذه الديانة([4]).

ويبدوا واضحاً ان الحرية الفكرية والدينية كانت موجودة عند المغول ولذلك تعددت عندهم الافكار والعبادات الدينية والتي انطوت بعد ذلك تحت لواء قانون ديني سياسي عسكري واحد هو قانون الياسا المغولي.

ويعتبر قانون الياسا أو (البسق) النظام الأساسي الذي كانت تسير عليه العناصر المغولية الخاضعة لحكم وسلطة جنكيز خان وكان هذا القانون بالغ الصرامة والشدة فقد نظم الحياة المغولية وفرض وجود هذه القوة البدوية الجديدة على بقية الحضارات المتمدنة.

ولا بد من الاشارة ان قانون الياسا الذي وضعه المشرع جنكيز خان كان تحت تاثير البيئة الصعبة والقاسية التي عاش تحت لواءها منذ صباه فقد جعلته الطبيعة متمرساً ليس في الحرب فقط بل في تشريع وسن قانون جاء متأثراً الى حد بعيد بالبيئة التي عاشها فجاء

([1]) وياسا:- هي كلمة مغولية الأصل تعني القاعدة او القانون او الحاكم وقد وردت على اكثر من وجه في العربية والفارسية.فتجدها ياسا او يأسة وقد تظهر بعبارة يساق او ياسق او بسق وهو الحكم الذي يصدر من الأمير او الحاكم واطلق عليه هذا القانون اسم كتاب الياسا الكبير الذي كان مرجعاً يتم العودة اليه عند جلوس الخان الجديد على عرشه او عند انعقاد المجلس المغولي الأعلى.القلقشندي، صبح الاعشى، ج، ص، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص735.

([2]) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص235.

([3]) القلقشندي، صبح الاعشى، ص120.

([4]) ابن خلدون، العبر، ج، ص، السبكي، طبقات الشافعية، الكبرى، ج1، ص329.

قانونه الذي عرف بالياس مزيجاً من قانون وضعي أملته عليه الطبيعة واخر سماوي تحت لواء الاديان المختلفة التي تعايشها جنكيز خان.

فضلاً عن ذلك فقد كان للمغول قبل جنكيز خان بعض العادات والتقاليد المتبعة منذ زمن بعيد هذه العادات والتقاليد دفعت جنكيز خان الى تعديلها وحذف بعضها واضافة البعض الاخر حتى اصبحت قانوناً رسمياً دون وحفظ عند أمراء المغول وعليه فقد سعى جنكيز خان بقانونه توحيد المغول تحت سلطته. وكانت للصرامة التي عاشها جنكيز خان في ظل الطبيعة كفيلة بنقل تلك الصرامة الى افكاره التي جسدها بصرامته بتطبيق قانون الياسا وبالتالي فأن تلك الشدة كانت كفيلة بإخضاع تلك القبائل الهمجية وترويضها وابعاد الفوضى عنها وبهذا الاسلوب استطاع جنكيز خان توحيد المغول ونظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم والمحكومين ببعضهم البعض.

ولعل اهم ما ورد قانون الياسا الذي كان بحق دستوراً للقبائل المغولية فقد شملت عدة امور لتنظيم مجالات الحياة المختلفة منها من وجد عبداً هارباً أو أسيراً قد هرب ولم يرده الى صاحبه يحكم عليه وفقاً لقانون الياسا بالقتل ومن اطعم اسير قوم او كساه بغير أذنهم قتل. ومن وقع حمله او قوسه اوشي من متاعه وهو يكر او يفر في حالة قتال وكان وراءه شخص فأنه ينزل ويناول صاحبه ما سقط منه فإن لم ينزل ولم يناوله قتل. ومن قانون الياسا ايضاً لا يأكل أحداً من أحد حتى يأكل منه المناول اولاً ولو كان المناول اميراً ومن يناوله أسيراً وأكده قانون الياسا على انه لا يختص احد يأكل شيء وغيره يراه بل يشركه معه في أكله فضلاً عن ذلك نص القانون على انه ان مر أحدهم بقوم وهم يأكلون فله ان ينزل ويأكل معهم وليس لأحد أن يمنعه([1]).

كما وضم القانون منعهم من غسل ثيابهم بل يلبسونها حتى تبلى كما منع القانون ان يقال لشي انه نجس فإن جميع الاشياء طاهرة. والزمهم القانون ان لا يتعصبوا لشيء من المذاهب ومنع المغول من تفخيم الالفاظ وروائع الالقاب فلا يخاطب الشخص مهما علت مكانته الا باسمه فقط([2]).

---

[1]() ابن الأشير، الكامل، ج10، ص323.

([2]) المصدر نفسه، ج10، 223..

كما والزم قانون الياسا النساء القيام في المعسكر والعمل بما على الرجال في مدة غيابهم عن القتال.نظم هذا القانون ايضاً حلقات الصيد لما لها من اهمية في التدريب على اساليب الحرب كما اعتبر من يعين احد الخصمين على الأخر يقتل ومن اعطى بضاعة فخسر ثم اعطى ثانية فخسر ثم اعطى ثالثة. فخسر بقتل([1]) وذكر ايضاً ان من ذَبَحَ ذَبْحَ المسلمين يقتل فقد كان المغول يعمدون الى لف قوائم الحيوان للذبح وشق جوفه يدخل احدهم الى جوفه حيث يدخل احدهم يده الى قلبه فيمرسه في يده حتى يموت([2]).

وعليه فمن خلال قراءة قانون الياسا وما احتواه على مجمل النظم سواء ما كان منه سياسياً او اقتصادياً او دينياً يلاحظ مدى التأثر والتأثير بين سن تلك التشريعات وبين البيئة واثرها ولعل عقوبة القتل التي كانت من الشدة والصرامة في تطبيق القوانين دليلاً على اثر قسوة الطبيعة التي لم تكن ترحم من يتهاون في تكييف نفسه ليعيش فيها. وبالتالي فأن قسوة البيئة بكل اشكالها على مشرع الياسة جنكيز خان جعلته صارماً الى حد القتل لكل من يخرج عن قاعدة تلك القوانين. كالبيئة التي يموت تحت لواءها من لا يستطيع تكييف نفسه ليعيش فيها.

وغير انه في الوقت نفسة فأن العادات والتقاليد التي كانت جزءاً من تلك القوانين هي الاخرى جاءت بعضها متوارثة من الاجداد والبعض الاخر جاءت تحت واطاءة التأثير بالبيئة القاسية التي تراوحت بين برودة قارسة شتاءاً يتعذر العيش تحت كنفها الا بالجهد الشاق وبين صيفاً حاراً جاف يحمل معه ترانيم الجوع والحاجه وبالتالي جاءت بعض تلك العادات والتقاليد المغولية التي اصبحت جزءاً من الثقافة الدينية المغولية متأثرة بالبيئة التي عاشها وتعايشها المغول انذاك.

الخاتمة

النتائج

([1]) ابن كثير، البداية والنهاية، ج3، ص118- 119.
([2]) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص182، رشيد فضل الله الهمداني، جامع التواريخ، ص135.

ان من اهم توصلنا اليه في نهاية بحثنا :-

1-شكلت الطبيعة عنصراً أساسياً من عناصر تشكيل القوة المغولية لا سيما وان تروضوا تحت لواء طبيعتهم التي اكسبتهم القدرة على البقاء والعيش تحت اجواءها المناخية المتقلبة.

2-تركت البيئة على المغول تغيرات لم تكن جسمانيه فحسب بل شملت كل مجالات حياتهم ومعيشتهم وبالتالي جعلتهم يمتلكون القدرة في العيش تحت البرد القارس والحر الشديد مع قدرتهم في توفير المأكل في ظل تلك الظروف البيئية القاسية.

3-انجبت الطبيعة شخصية مغولية اليها يعود الفضل في تكوين الامة المغولية الا وهو جنكيز خان ذلك القائد الذي صقلته البيئة بكل عنفوانها وقسوتها ولتترك اثارها بشكل جلي على تلك الشخصية الفذة وبالتالي نجح جنكيز خان في اختيار الطبيعة له ونجح ايضاً في تحويل قدراته التي منحتها اياه البيئة الى واقع ملموس فحول المغول من قبائل متعددة ومتفرقة الى امة واحدة. والى قوة عسكرية موحدة وبالتالي الى دولة تمتلك قانون ودستور لأدارة الحياة بكل جوانبها السياسية والعسكرية والدينية. وبالتالي اظهرت لنا البيئة قوة جديدة على الساحة تسنى لها ان تحكم العالم بأسره.

قائمة المصادر والمراجع

اولاً:- المصادر:-

1- ابن الاثير/ ابو الحسن عز الدين (ت630)، الكامل في التاريخ دار الكتب العلمية (بيروت، 1998).
2- ابن بطوطه، ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت779هـ) تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار (القاهرة 1933).

3- ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن (ت874هـ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة المصرية للتأليف والنشر (القاهرة 1968).
4- ابن خلودن، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ)، العين، القاهرة 1284هـ).
5- ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد (ت681)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، دار الثقافة (بيروت 1968).
6- السبكي/ تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب (ت771هـ) طبقات الشافعية الكبرى (القاهرة، 1968).
7- ابو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل (ت665هـ) الروضتين في اخبار الدولتين، دار الكتب العلمية (بيروت، 1422هـ)
8- ابن العبري، غريغورس بن هارون المطلي (ت685هـ)/ تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية (بيروت، 1958).
9- ابو الفدا/ الملك المؤيد اسماعيل بن محمد (ت732هـ) المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية (مصر، 1325هـ).
10-ابن ابي الفضائل، مفضل بن ابي الفضائل (ت672هـ) النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ، (القاهرة، 19731).
10- ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت774هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف (بيروت 1977).
11- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت845) المواعظ والاعتبار يذكر الخطط والاثار (بيروت د.ت)
12- الهمداني، رشيد الدين فضل الله (ت 718هـ) جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق نشأت (القاهرة 1960).

ثانياً:- المراجع:-

1- ثروت، عكاشة، اعصار من الشرق جنكيز خان، دار الشروق للطباعة والنشر (القاهرة 1992).
2- الحسن، عبد الرحمن، امبراطورية المغول في عهد جنكيز خان، (بيروت، 1984).
3- الخالدي، اسماعيل عبد العزيز، العالم الاسلامي والغزو المغولي مكتبة العلاج للطباعة والنشر (الكويت، 1984).
4- الصياد، فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ، (القاهرة- 196).
5- عبد العزيز، عبد السلام، تاريخ الدولة المغولية في ايران، دار المعارف للطباعة والنشر(القاهرة، 1981).
6- العريني، السيد الباز، المغول، المكتبة العربية للطباعة والنشر (بيروت1967).
7- عمران، محمد سعيد، المغول واوربا، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر (القاهرة 1980).
8- نور الدين، محمد، امبراطورية المغول بقيادة جنكيز خان القاهرة 1995).
9- هارولد الام جنكيز خان وجحافل المغول ترجمة الى العربية أمتري أمين القاهرة، 1962)
10-حمدي، حافظ احمد، الدولة الخوارزمية والمغول (القاهرة 1950).